الدرس التاسع/ الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو:

أولا / نشأته وثقافته :

ولد الأديب(أحمد رضا حوحو) في قرية(**سيدي عقبة**) التابعة لولاية بسكرة(سنة 1911) في عائلة كانت أوضاعها المادية والثقافية مقبولة آنذاك، هذا ما سمح له أن يتلقى علومه الأولى من القراءة والكتابة، وعلى وجه الخصوص المواد الشرعية، كما تتلمذ في المدرسة الابتدائية الفرنسية إلى أن حصل على الشهادة الابتدائية وفي(سنة 1927) توجه إلى مدينة(**سكيكدة**) لمتابعة دراسته الإعدادية وظل فيها مدة أربع أعوام، وبعدها عاد إلى بلدته(**بسكرة**). وفي(عام 1934) قصد(**الحجاز**) مع أسرته، واتخذ من (**المدينة المنورة**) إقامة،وعمل فيها أستاذا بعد تخرجه إلى جانب عمله كموظف في إدارة البريد السعودية، إضافة إلى ذلك هيأت له هذه الإقامة بالسعودية زيارة عدة بلدان منها(مصر ـ روسيا ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ تشيكسلوفاكيا) وتركت هذه الرحلات بصمات واضحة في أدبه.

وأثناء عودته إلى الجزائر(عام 1946) بعد وفاة والديه، ليحط رحاله بمدينة " قسنطينة" ويتولى إدارة مدرسة(التربية والتعليم الأهلية)، وفي العام نفسه انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأصدر جريدة أسبوعية أطلق عليها اسم(**الشعلة**)، وهي تهتم بالنضال السياسي والنقد الاجتماعي والقضايا الأدبية. وفي (عام 1947) أسس(**جمعية المزهر**) القسنطينية إرضاء لاهتماماته المسرحية، ودفعه ذلك إلى كتابة عدد من المسرحيات. وكان(أحمد رضا حوحو) مستمرا في الإبداع والكتابة والنشر في أكثر من صحيفة ومجلة منها (الشعلة) و(البصائر) ومجلة (إفريقيا الشمالية).. .

وظل نضال الأديب(أحمد رضا حوحو) يهدف إلى نهضة الجزائر، ويقظة شعبها إلى أن قامت القوات الفرنسية بحملة إرهابية في قسنطينة من قبل الشرطة السرية يوم(29 مارس 1956) اعتقلت خلالها وجهاء مدينة قسنطينة من بينهم الأديب (أحمد رضا حوحو)، وقد سيق هؤلاء إلى سجن الكدية، ولكن المدير المسؤول عن السجن رفض استقبالهم بحجة أنّه لا يوجد متسع لأي شخص آخر، فقادهم العساكر في اتجاه(الخروب) وفي الطريق أطلق الحرس عليهم النارّ من الخلف وصرعوهم، وقد بينت الدراسات أنّ منظمة (اليد الحمراء) الإرهابية السرية كانت وراء هذا الاغتيال الذي أدى إلى استشهاد هؤلاء، ومنهم الأديب(رضا حوحو) الذي قضى نحبه شهيد الكلمة والحق والوطن(سنة 1956).

ثانيا/ مؤلفاته:

لقد ترك مجموعة من الأعمال الأدبية، منها ما هو مطبوع، ومنها ما زال مخطوطا وهي:

1ـ غادة أمّ القرى: قصة طويلة اجتماعية ، صدرت طبعتها الأولى بتونس عام 1947.

2ـ مع حمار الحكيم: مقالات نقدية قصصية ساخرة، طبعتها الأولى في (قسنيطنة) عام 1935.

3ـ نماذج بشرية: تجمع هذه النماذج بين القصة والمقالة، صدرت بتونس عام 1955.

4 ـ صاحبة الوحي وقصص أخرى: مجموعة تضم ثماني قصص ومسرحية واحدة بعنوان(**أدباء المظهر**)، صدرت طبعتها الأولى عن (المطبعة الجزائرية) بقسنطينة عام 1954.

5ـ ثلاثة عشر مسرحية: منها (عنبسة)، (بائعة الورد)، (البخيل)، (سي عاشور والتمدن)، (سي زعرور أو النائب العام)، (المأمون)... وهي مخطوطة.

6ـ مقالات نقدية اجتماعية سياسية : نشرت في البصائر تحت زاوية:(في الميزان)، وفي(الشعلة) تحت عنوان(مسامير) وفي جريدة (المنار) وغيرها.

ثـالـثـا/ دوره فـي الحـركـــــة الأدبيـــة:

فقد انتفع(حوحو) بتجربته في الشرق العربي، حيث التقى بالمنابع الأولى للثقافة العربية، ووقف على أهم المشاكل التي تشغل بال الأدباء آنذاك والمعارك التي تنشب بين حين وآخر لنصرة هذا الاتجاه الأدبي أو ذاك. وعندما رجع إلى الجزائر في(سنة 1945)، وجد جيلاً جديدًا يبحث عن نفسه عقب الحرب العالمية الثانية وعقب التجارب السياسية المختلفة للحركة الوطنية. فبدأ يكتب فكانت أول قصة له(سنة 1947) بعنوان(**غادة أم القرى**)،وهي قصة اجتماعية تجري حوادثها على أرض الحجاز (السعودية). وقد أهداها إلى المرأة الجزائرية بهذه العبارات(..**إلى تلك التي تعيش محرومة من نعم الحب، من نعم العلم.. من نعم الحرية.. إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود..إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى**) .

وقد أمدّ(حوحو) الصحافة العربية في الجزائر بكثير من المقالات الاجتماعية والنقدية والقصص الخفيفة والصور الصادقة عن مختلف أوجه النشاط في المجتمع الجزائري. كما ساهم "حوحو" بنصيب وافر في حركة الترجمة والتأليف،كما خدم الصحافة بأسلوبه الخفيف وحواره الساخر ومعالجته للقضايا الاجتماعية والأدبية بلون جديد هو لون القصة والصورة، وكلاهما كان غير موجود قبل "حوحو". كذلك أسهم في الأدب المسرحي، فقدّم إلى الإذاعة والمسرح العربي عدّة روايات فكاهية بالفصحى والعامية في أسلوب ساخر ونقد لاذع لأوضاعنا الاجتماعية والسياسية.. كان(حوحو) ثائرا على الأدب المائع والأسلوب

الركيك، يدعو إلى أدب عربي محكم البناء.. فقد هاجم أصحاب هذا الأدب في أسلوبهم، وحركتهم وأذواقهم، قائلا:<<**إنّنا بالمرصاد وسنقضي على بذوره قبل استفحالها ولا نقبل في شمالنا الإفريقي إلّا أدبا عربيا مبنيا، أخذ من الماضي متانته ومن الحاضر سلاسته..**>>.

رابعـــا/ ميـــزات فنـــــــــــــه :

1/ السخريـــــة : ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجاد منها، يلتجئ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه المضحكة في الأحداث أو الشخصيات بحيث كان للهزل فيها نصيب وافر وليس غريبا أن يعمد "حوحو" إلى هذا الأسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري الذي تسوده تقاليد معينة في المرأة رجال الدين واستخدام وسائل الحضارة وتحكمه سياسة معينة قائمة على العنف والإرهاب..و(للسخرية) دور هام عند(حوحو)، فإلى جانب المتعة الفنية التي تشيعها في النص فإنها تقوم بدور انتقاد الأوضاع الاجتماعية والتقاليد الجامدة، فقدم لنا عدّة شخصيات انتزعها من صميم المجتمع الجزائري فيها الشيخ الذي يتاجر بالدين، ويناقض بعمامته وسبحته بينما يرتكب الفواحش والآثام، وفيها الفتاة التي تعاني من كبت المجتمع ثم تقع في حبال الشباب الذي يسلبها شرفها ويلفظها طريدة لا تفكر إلا في الانتحار، وفيها الهجوم على الخرافات والبدع والشعوذة..وهناك إلى جانب الشخصيات الآراء والأفكار الأدبية والاجتماعية والسياسية... .

2/ ظاهـــرة الحـــوار: فهي كذلك من أبرز ما امتازت به أعماله الأدبية، وقد بدع فيه لدرجة كبيرة، فقد استخدم الأديب الحوار في القصة والمسرحية وفي الموضوعات المختلفة. وكان حواره يمتاز بالسرعة والجدة والنكتة مما جعله خفيفًا على الأذن قريبًا إلى القلب. وقد ساعدته شخصية(**الحمار**) الذي أجرى على لسانه مناقشات كثيرة للمشاكل الاجتماعية والوطنية على طرافة الحوار وخفته.

*ومن أعماله السردية الموفقة(**مع حمار الحكيم**) وهي مقالات نقدية قصصية ساخرة تضمنت نقدا ساخرا للسلوك الاجتماعي الفاسد، والمعتقدات البالية.. والفكرة مستوحاة من فكرة رواية(حماري قال لي) لتوفيق الحكيم، فقد تصور(**حوحو**) أنّ(حمار الحكيم) قَدِم من **مصر** ودار بينهما نقاش حاد حول كثير من القضايا الاجتماعية والسياسية كالمرأة والتعليم، والصحافة، والدين.. وهذا نموذج لسخرية الحوار الذي دار بين(حوحو) و(حمار الحكيم): سأل الحمار:

ـ هل تريد أن نطرق موضوع المرأة؟ ـ كن مرتاحًا من هذه النّاحية، فلا وجود للمرأة في بلادنا؟

ـ عجبًا أتعيشون من دون نساء ! وكيف تتناسلون؟ ـ قلت: لدينا آلات للنسل نحتفظ بها في بيوتنا

ـ قال: هذه مشكلة عويصة، دعنا منها، فلنبحث في الفقه فإنّ لي آراء جديدة فيه فلا تخلو من فائدة

ـ أرى أن تحتفظ بها لتحدث بها فقهاءنا علّهم يستفيدون منك شيئًا جديدًا

ـ لنتكلم إذن في الدين. ـ دين مَنْ ؟ ـ الدين الإسلامي

ـ أعلم ذلك، لكن دين الحكومة أم دين الشعب، الدين الرّسمي أم الدين الحرّ؟

ـ قال والتعليم؟

ـ قلت: هناك التعليم الرسمي ومبني على قاعدة فلسفية عميقة وغامضة وفي نفس الوقت تَعَلَّم لتجهل..

ـ قال: عجبا !.. يتعلم ماذا؟ ويجهل ماذا؟ فإنّي لا أكاد أفهم شيئًا.

ـ قلت متضجرًا: وأنّى لك أن تفهم فلسفتنا العميقة.

** ذلك هو الأديب الشهيد(**أحمد رضا حوحو**) الذي حمل أمانة الكلمة والنضال بكل أبعاده ومفاهيمه، وقد قال فيه الأديب الأستاذ (عبد الرحمان شيبان):<<يمتاز أدب الأستاذ(حوحو) بطابع الخفة والصدق والانتقاد، فإنك لا تكاد تقرأ فصلا من فصوله، أو تشاهد مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك بالجميل.. فهو خفيف في كلامه، خفيف في نكته، خفيف في حركته وسكونه، وهو يعالج من الشؤون بكل صدق وبتعبير جامع،فإن رضا حوحو في أدبه هو نفس رضا حوحو في حياته من غير تعديل أو رتوش..>> ولعل أجمل كلمة وفاء تقال هي ما جاء في حديث الدكتور الناقد أبو القاسم سعد الله عن(**أحمد رضا حوحو**):<<رحم الله **حوحو**، فقد كان مثال الأديب الذي عاش نظيفًا ومات نظيفًا>>.